مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١ مكتبة الأسرة

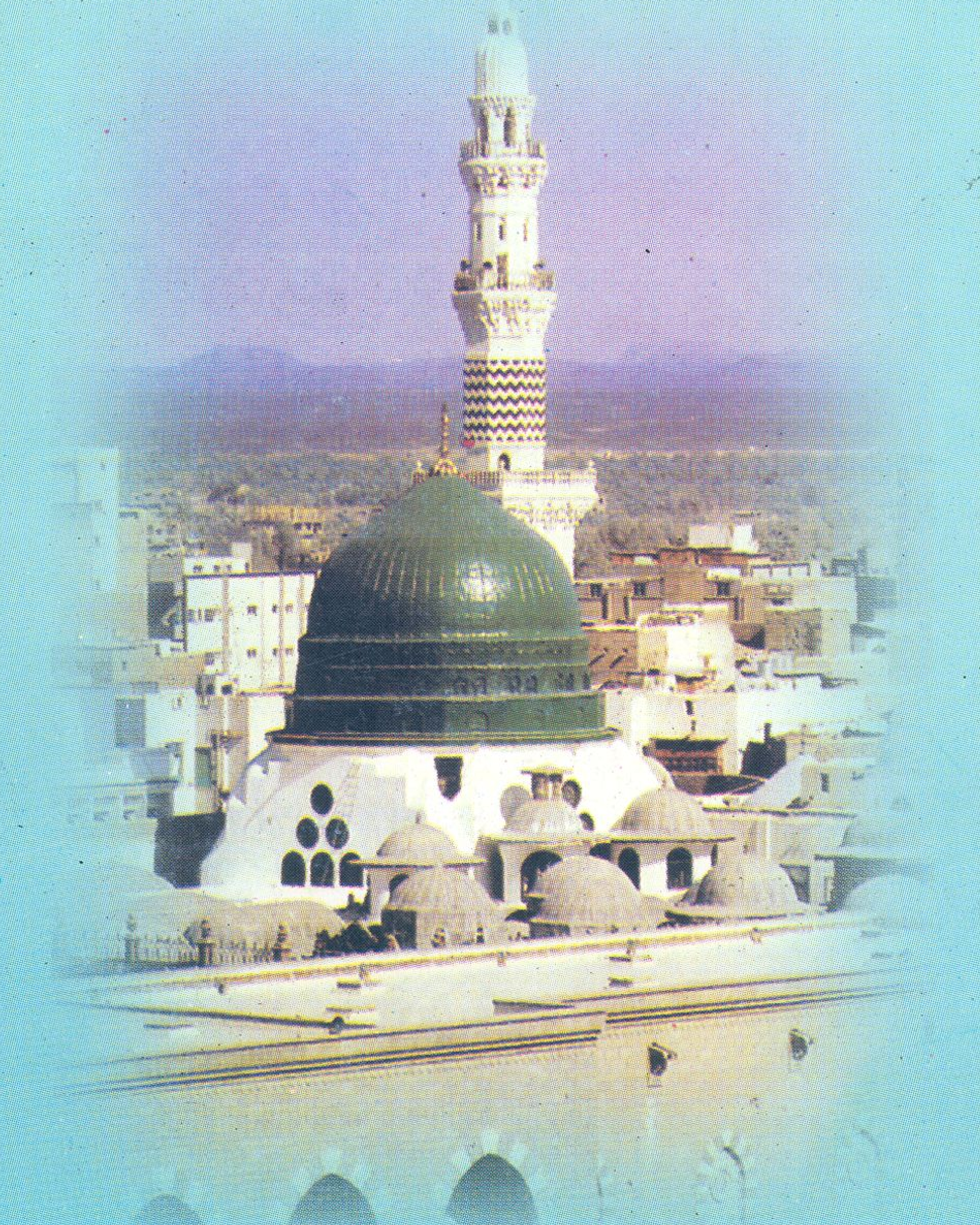
د. أحمد شلبى

من السيرة النبوية العطرة

الجزء السابع

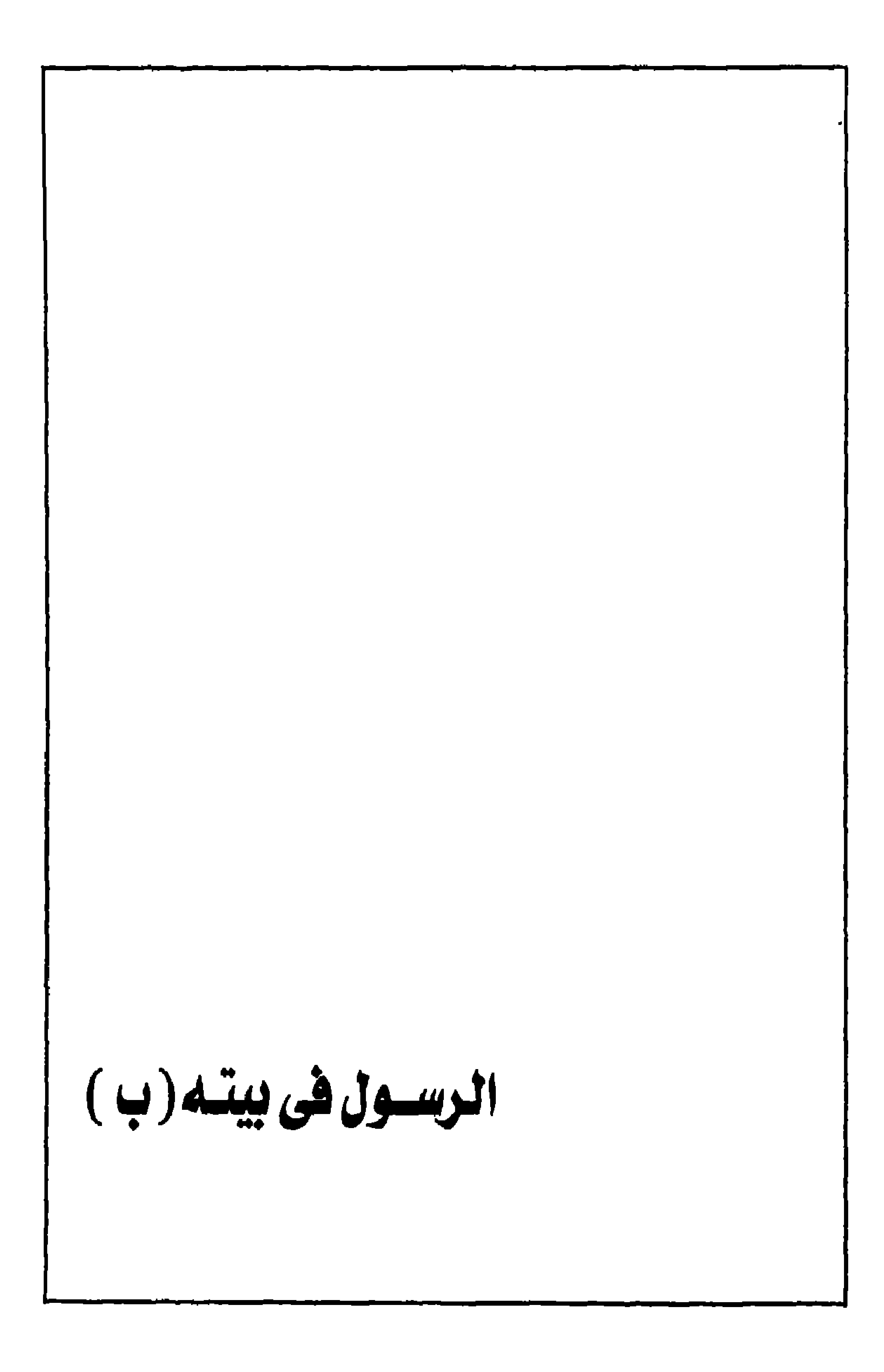
الرسولُ فى بيته
ب. مشكلات الزوجات وكيف عالجها

الأعمال الدينية





الهيئة المصرية العامة للكتاب



الرسـول فى بيتـه (ب)

من السيرة النبوية العطرة

(٧)

الرسول فى بيته (ب)

مشكلات الزوجات وكيف عالجها

الحجاب - أولاد الرسول - أحفاده - خدمه

د. أحمد شلبى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الدينية)

من السيرة النبوية العطرة (٧)

الرسول فى بيته (ب)

مشكلات الزوجات وكيف عالجها

د. أحمد شلبى

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

صبرى عبد الواحد

المشرف العام :

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء) . وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء) .. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

الرســولُ فى بيته

مقــــــدمة

فى الجزءِ السادِسِ من هذهِ المكْتَبَةِ تحدَّثْنا عَنْ زَوجاتِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ واحِدَةً واحِدَةً ، وتكَلَّمْنَا عَنْ حِكْمةِ تعدُّدِ الزوجاتِ فى الإسْلامِ بِصِفةٍ عامَّةٍ وتعدُّدِ زوجاتِ الرسول بصفَةٍ خاصَّةٍ .. وفِى هذا الجُزْءِ نُوَاصِلُ حديثَنا عَنْ « الرسول فى بَيْتِهِ » .

مــــارية :

بَعْدَ الفراغِ مِن الحديثِ عن زوجاتِ رسولِ اللهِ يَتحَتَّمُ علَيْنَا أَنْ نتكلَّمَ كَلِمَةً عَنْ مارِيَةَ التي كانَ يُمْكِنُ أَنْ تكُونَ زَوْجَةً ضِمْنَ زوجاتِ الرسولِ ، إذ إنَّ الرسولَ عَرَضَ عليْهَا أَنْ يَعْتِقَهَا ويتزوَّجَهَا كما فَعَلَ ببعْضِ نِسائِهِ ، ولكنَّها آثَرتْ أَنْ تَبْقَى مَمْلوكَةً لَهُ ، ويكونَ هو سيِّدَهَا وصاحِبَ السُّلطَانِ عَلَيْهَا .

لماذا آثَرَتْ مارِيةُ هذا الاتِّجاهَ ؟

إنَّ الجَوَابَ عَنْ هذا سَهْلٌ ، فمارِيةُ كانَتْ جارِيَةً فى قَصْرِ المُقَوْقَسِ فى مصرَ ، ومِنْ هُنا كانَ لَهَا عَهْدٌ بحَيَاةِ الرِّقِّ ، فلَمْ تُرِدْ أَنْ تُغيِّرَ مِنْ نَسَقِ حياتِهَا الذى اعتادَتْهُ ، ثُمَّ إنَّهَا كانَتْ

ذاتَ مَعْرِفَةٍ بالآدابِ المسيحيَّةِ التي تدْعو للرَّهْبَنَةِ وتَحُثُّ عَلى الخُضُوعِ ، وهُناكَ سببٌ ثالِثٌ قدْ يُساقُ فى هذا المَجَالِ هو أنَّ المقَوْقسَ أرسلَ بها هَدِيَّةً لمحمدٍ لتتعرَّفَ على أَخْبارِهِ أوْ قُلْ لتتجَسَّسَ عليْهِ ، وأَرسلَ معها أُختَهَا (سِيرِينَ) ونَفَراً مِنْ قَوْمِها لعلَّها تستطيعُ أَنْ تَنْقُلَ إليْهِ أَخْبارَ محمدٍ بواسِطَتِهِمْ ، فمِنْ هنا لَمْ تَجِىءْ ماريةُ إلى بيتِ محمدٍ لتتزوَّجَ وتُؤَدِّىَ الْتزَاماتِ الزواجِ مِنْ حُبٍّ وإخْلاصٍ ، وإنَّمَا لتتجسَّسَ ، وعندما تكونُ جاريةً فإنَّ ذلك يُبيحُ لها هذا التصرُّفَ .

ومِنْ هُنَا آثَرَتْ ماريةُ أَنْ تَبْقَى مِلْكَ يَمينٍ ، ولكنَّهَا سَرْعانَ ماقابَلَتْ شيْئاً هزَّ وجْدَانَهَا ، فقَدْ خلَّفَتْ بِمِصرَ قُصوراً شاهِقَةً كانَ يعيشُ فيهَا المقوْقَسُ ويَعيشُ فِيهَا بَعْضُ رُؤساءِ الكَنِيسةِ ، وجاءَتْ إلى المدينَةِ حَيث عاشَتْ فى بيْتٍ صغيرٍ شديدِ القُرْبِ مِنْ صَوَامِعِ الرُّهْبَانِ ، ورأَتْ الرسولَ يعيشُ على الكَفَافِ ، ويبيتُ أَحْياناً علَى الطَّوَى ، وفِرَاشُهُ خَشِنٌ مُتَواضِعٌ ، وملبَسُهُ بعيدٌ كلَّ البُعْدِ عَنْ التَّرفِ والنَّعيمِ ، وكانَ الرسولُ يشارِكُهَا فى أَعْمالِ البيْتِ ، ويَتخلَّقُ بأَسْمَى الآدابِ وأرْقَى الصِّفَاتِ ، ولَمْ تكُنْ هناك أَسْرَارٌ فِي حَيَاتِهِ يُمْكِنُ أَنْ تنقُلَهَا ماريةُ للمقَوْقسِ ، فأَدْرَكَتْ ماريةُ أَنَّ محمداً

لَيْسَ مِلكاً ، وأَنَّهُ هو بأَخْلَاقِهِ وبدَعْوَتِهِ رسولُ اللهِ ، بَل عَرَفَتْ مِمَّا سمِعَتْهُ مِن القرآنِ الكَرِيمِ طبيعةَ السيِّد المسيحِ وأَنَّهُ ليْسَ إلهاً كَمَا ادَّعَى المسيحيُّونَ ، ولكنَّهُ عَبْدُ اللهِ ورسولُهُ ، فأَسْلَمَتْ وحَسُنَ إسْلامُهَا ، ويُقَالُ إنَّ الرسولَ أَعْتَقَهَا وعَقَدَ عَلَيْهَا فأَصْبَحَتْ إِحدَى زوجاتِهِ وأَنْجَبَتْ للرسولِ ابنَهُ إبراهيمَ الذى فَرِحَ بهِ الرسولُ والمسلمونَ فَرَحاً عظِيماً ، وسنتحدَّثُ عَنْ ابراهيمَ عِنْدَ حديثِنَا عنْ أَوْلادِ الرسولِ .

مشكلات الحياة فى بيت الرسول وكيف عالجها :

فى بُيوتِ الرسولِ صلَوَاتُ اللهِ علَيْهِ وُجِدَ طَرَفَانِ فى مَجالِ المعَامَلَةِ ، الطَّرَفُ الأَولُ هو الرسولُ نَفسُهُ ، وهو الإنْسانُ الكامِلُ الذى وصفَهَ اللهُ تعالَى بقوله « وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » (سورةُ القَلَمِ الآيةُ الرَّابِعَةُ) وهذَا شىْءٌ طبيعىٌّ لأَنَّ الأَنْبياءَ صَفْوَةُ البَشَرِ قالَ تعالَى « اللهُ يَصْطَفِى مِنَ الملائِكَةِ رُسُلًا ومِنَ النَّاسِ » . (سورةُ الحَجِّ الآيةُ ٧٥) .

ولِهذَا كانَتْ تصرُّفَاتُ الرسولِ فى بيْتِهِ تصرُّفاتٍ مِثالِيَّةً تُعَدُّ نَمَاذِجَ للمسلِمِينَ الذينَ ينْبَغِي علَيْهِمْ أَنْ يقْتَدوا بالرسولِ وأَنْ يغْتَرِفوا مِنْ سُلُوكِهِ ، ماوَسِعَتْهُمْ الطَّاقَةُ .

والطَّرَفُ الثانى فى بُيوتِ الرسولِ هوَ زَوْجاتُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ ، وهُنَّ بِلا شَكٍّ مجْموعَةٌ مِنَ الفُضْلَيَاتِ ، ولكنَّهُنَّ لَمْ يكُنَّ في دَرَجَةِ الرسولِ ، ولا كُنَّ فى مُسْتَوًى واحِدٍ فى الفَضْلِ كما سنَرى مِنَ الأَحْداثِ التى سنَرْوِيهَا ، وزوجاتُ الرسولِ بهذا الشَّكْلِ شيءٌ طبيعيٌّ ، إذْ لَوْ كُنَّ قِمَماً فى الفَضْلِ لكانَ بيْتُ الرسولِ فى مُسْتَوًى بَعيدٍ عَنْ واقِعِ حياةِ الناسِ ، ولَمَا ظَهَرَتْ بِهِ المشكِلاتُ التى يُعالِجُهَا الرسولُ ليتخِذَ المسلمونَ مِنْ عِلاَجِ الرسولِ لهَا دَرْساً ينْتفِعونَ بهِ فِيمَا يُوَاجِهُونَ مِنْ مُشكِلاتٍ فى بُيُوتِهم .

ومِنْ هُنَا فإنَّ دِرَاستَنَا للحَيَاةِ فى بيتِ الرسولِ ستُرينَا الاتجاهَ المِثالِيَّ التَّشْرِيعيَّ الذى تُمَثِّلُهُ تصرُّفَاتُ الرسولِ ، وستُرِينَا كذلِكَ اتِّجاهَاتِ الزوْجَاتِ ومَوْقِفَ الرسولِ مِنْهَا مُثْنِياً أَو مُصَحِّحاً أَو مُهَذِّباً ، وعَلَى المسلِمِينَ أَنْ يَتَّبِعُوا نَهْجَ الرسولِ فى جَمِيعِ الحالاتِ ..

والاتجاهُ المثالىُّ لحياةِ الأُسْرَةِ تُبْرِزُهُ أَحاديثُ الرسولِ التى تُلْزِمُ كُلًّا مِنْ الزوجِ والزوجَةِ أَنْ يَرْعَى الآخَرَ أَسْمَى رِعَايةٍ ، وأَنْ تكونَ العِشْرَةُ عامِرَةً بالحُب والوَفاءِ وبالإخلاصِ ، وأَحاديثُ الرسولِ فى ذلك كثيرةٌ موثَّقَةٌ ، فهو يقولُ للرجالِ :

– اسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْراً .

– خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ ، وأنا خَيْرُكُمْ لأَهْلِى .

ويقول للنساء :

– أيُّما امْرأةٍ ماتَتْ وزَوْجُها راضٍ عَنْهَا دَخلَتْ الجنَّةَ .

– لو كنْتُ آمِراً أحداً أنْ يسجُدَ لِأَحدٍ لأَمَرْتُ المرأةُ أنْ تسجُدَ لزوجِها .

فالرسولُ فى هذهِ الأَحادِيثِ وسِوَاها يَعِظُ ويُعَلِّمُ ولكنَّه يَضرِبُ المَثَلَ بنفْسِهِ ، ويُبَيِّنُ أنَّهُ خَيْرُ الناسِ فى أَهلِهِ ، فأَحْسَنُ الناسِ مَنْ كانَ كذلكَ ، وليسَ الذى يبْدو أَمامَ الناسِ سمْحاً طيِّباً فإذا دَخَلَ بيتَهُ انقلَبَ مُتَسلِّطاً عابساً ، وتقولُ السيدةُ عائشةُ عنْ ذلكَ « كانَ رسولُ اللهِ أَلْيَنَ الناسِ ، ضاحِكاً باسِماً » وكانَ يساعِدُ زوجاتِهِ فى أَعْمَالِ البيتِ ، وأُثِرَ عنْهُ قولُهُ « خِدْمَتُكَ زوجَتَكَ صدَقَةٌ » وكانَ رسولُ اللهِ يعامِلُ زوجاتِهِ بالحُسْنَى ، ويأْخذُهُنَّ بالنصيحَةِ الطيِّبَةِ ، ويسأَلُهُنَّ الرِّفْقَ فى أُمورِهِنَّ ، ويُقْسِمُ بينَهُنَّ بالعدْلِ ويقولُ : « اللهُمَّ هذا قَسْمِى فيما أَمْلِكُ ، فلا تؤاخِذْنِى فِيما

لا أَمْلِكُ » أَىْ يسأَلُ اللهَ أَلَّا يؤاخِذَهُ فى مَيْلِ القَلْبِ الذى لا يُمْكِنُ للإنسانِ أَنْ يُسَيْطِرَ عَلَيْهِ .

أَمَّا مكانَةُ الزوجِ لَدَى زوجَتِهِ فيُوَضِّحُهَا الرسولُ لعائِشَةَ عندَما سأَلَتْهُ : أَىُّ الناسِ أَعْظَمُ حقًّا علَى المرأَةِ ؟

فأَجابَ : زوجُهَا . وسأَلَتْهُ : وأَىُّ الناسِ أَعظمُ حقاً علَى الرَّجُلِ ؟ فأَجابَ : أُمُّهُ .

وجاءَتْ إلى الرسولِ زوجَةٌ مِنْ الزوجَاتِ ، فسأَلَها الرسولُ « كَيْفَ أَنْتِ مع زوجِكِ ؟ إِنَّهُ جَنَّتُكِ ونارُكِ » أَىْ أَنَّكِ تَدْخُلِينَ الجنَّةَ أو النارَ حَسبَ معامَلَتِكِ لَهُ .

وكانَ الرسولُ صلواتُ اللهِ عليْهِ يُنَبِّهُ الرجالَ إلى احْتِمَالِ النساءِ ، ففى كِثيراتٍ مِنْهُنَّ نَوْعٌ مِنْ الانْحِرافِ ينْبَغِي أَنْ يصبِرَ عليْهِ الرجالُ ، وهو فى ذلكَ يقولُ :

– إِنَّ المرأَةَ كالضِّلَعِ إِنْ ذهبْتَ تُقِيمُهَا كسَرْتَها ، وإِنْ تَرَكْتَهَا استَمْتَعْتَ بِها علَى عِوَجٍ .

– لو أَحسنْتَ إلى المرأَةِ الدَّهْرَ ثُمَّ رأَتْ مِنْكَ شيئاً ، قالَتْ : ما رأَيْتُ مِنْكَ خيراً قَطّ . (رواه البخارى)

ولَمْ تكُنْ زوجاتُ الرسولِ – كما أَشَرْنَا آنِفاً – عَلَى نَسَقٍ واحِدٍ ومُسْتَوًى واحِدٍ لَدَى اللهِ ولَدَى الرسولِ ، ولذلكَ كانَ الوَحْيُ يجِيءُ للرسولِ فى المدينةِ فى بيْتِ عائشةَ ، وقد رُوِىَ عن عائِشةَ قَوْلُهَا « فضَّلَنِي اللهُ عَلَى الأُخْرَيَاتِ بأَنْ جَعَلَ الوَحْيَ يَنزِلُ على الرسولِ فى بَيْتِي » ولَمْ ينزلْ فى غَيْرِ بيتِها إِلّا قَلِيلًا فى بيْتِ أمِّ سَلَمَةَ . وكانَ الرسولُ يقولُ : إنَّ لعائِشةَ مِنِّى شُعْبَةً لا تنزِلُهَا واحِدةٌ من النساءِ .

وكانَ الرسولُ كثِيرَ المَدَاعَبَةِ لعائِشةَ ، فقد شَكَتْ لهُ مَرَّةً آلاماً فى رأْسِهَا فداعَبَها بقولِهِ : ماذا لومتِّ وأَنا حَيٌّ فصلَّيْتُ عَلَيْكِ ودَعْوتُ لكِ ؟ فقالَتْ لَهُ : فكأَنِّى بِكَ وقد عُدْتَ بَعْدَ دَفْنِي تُعْرِسُ بإِحْدَى نسائِكَ عَلَى فِرَاشِى ... وكان يُسابِقُ عائِشةَ فسَبَقَتْهُ مرَّةً وسبَقَها أُخْرَى فقالَ لَها : هذهِ بِتِلْكَ .

الغـــــيرة :

وكانتْ الغَيْرةُ موجودةً فى بيتِ الرسولِ ، وكانَ الرسولُ يُنَظِّمُ الغيْرَةَ حتى لاتكونَ أداةَ تدْمِيرٍ للأُسْرَةِ ، ويُرْوَى عنْهُ قولُهُ فى الغيرةِ مِنْ الأَجانبِ « إِنَّ اللهَ تعالَى يَغَارُ ، والمؤمِنُ يَغارُ ، وإِنِّى لغَيورٌ ، وما مِنْ امْرِىءٍ لا يغارُ إِلَّا مَنْكُوسَ القلْبِ ، ولكنْ مِنْ الغيرةِ ما يُحِبُّهُ اللهُ ، ومنها

ما يبغضُهُ اللهُ ، فأمَّا الغَيْرَةُ التي يحبُّهَا اللهُ فالغيرةُ معَ الرِّيبَةِ ، والغيرةُ التي يبغضُهَا اللهُ هي الغيرةُ بدونِ رِيبةٍ » فإذا لَمْ يكنْ هناكَ أدْنَى شَكٍّ فلا داعِيَ للغيْرَةِ ، بل يُعَلِّمُ الرجلُ زوجتَه أنْ تَبْعُدَ عمَّا قد يُحدِثُ شكًّا في المستقبَلِ ، أمَّا مع الشكِّ فلابُدَّ مِنْ إزالةِ أَسبَابِ الشكِّ حتى لا تَتفَاقَمَ الأُمورُ .

أمَّا الغَيرةُ بيْنَ الضَّرائِرِ فقد دعا الرسولُ ربَّهُ أَنْ يُزِيلَ حِدَّتَهَا ، وقِصَّتُهُ ذلكَ أنَّهُ عِندما خَطَبَ أُمَّ سَلَمَةَ تردَّدَتْ في القَبولِ وكان مِنْ أَسْبابِ تردُّدِها ما قالَتْهُ بأَنَّ عندَ الرسولِ مَنْ هُنَّ أَصْغرُ مِنْهَا سِنًّا وأَكثرُ جَمالاً ، فأَحسَّ الرسولُ فيها بخُلُقِ الغَيْرَةِ فقالَ ... وإنْ كُنْتِ تغارِينَ من النساءِ فيُذْهِبُ اللهُ الغيرةَ مِنْكِ .

حـــــزبان :

وبعد أَنْ تزوَّجَ الرسولُ أُمَّ سَلَمَةَ نَشأَ في بيتِ الرسولِ حِزْبَانِ ، حِزْبٌ فيه عائِشَةُ وحَفْصَةُ وصَفِيَّةُ وسَوْدَةُ ، والحِزْبُ الآخَرُ أُمُّ سَلمةَ وسائِرُ زَوْجاتِهِ ، ونَمَتْ الغَيْرَةُ في هذا الجوِّ ، وترتَّبَ عَلَى الغيرةِ بعْضُ الكَيْدِ ، وبَعضُ الإساءاتِ ، ولكنَّ الرسولِ وقَفَ مُنْصِفاً حكيماً ، ليُخَفِّفَ مِنْ غيرةِ النساءِ ويُقَلِّلَ من حِدَّتِهِنَّ ، وقد أَوْرَدَ الذَّهَبِيُّ بعضَ

مَظَاهِرِ الغيرةِ ، وبعضَ الأَحْداثِ التى جرَتْ مُرْتَبِطةً بِهَا ، ونَقْتبِسْ فِيمَا يلِي بعضَهَا :

فمِنْ ذلك ماتَرْوِيهُ عائشةُ قالتْ : أَتانِي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ فدَقَّ البابَ ، فسَمِعْتُ الدَّقَّ ولكنْ تَوانَيْتُ فى الفَتْحِ حتى دقَّ أكثرَ مِنْ مَرَّةٍ ، ثم فتحْتُ لَهُ ، فقالَ : أَمَا كُنْتِ تسمَعِينَ الدَّقَّ ؟ قلْتُ : سمِعْتُهُ ولكنِّى أحبَبْتُ أَنْ تُكَرِّرَ الدقَّ لتَعْلَمَ النساءُ أَنَّكَ حَرِيصٌ عَلَى لِقائِي .

وعن عَطاءِ بنِ يَسارٍ قالَ : لمَّا قَدِمَ رسولُ اللهِ من خَيْبَرَ ومعَهُ صفيَّةُ سَمِعَ النساءُ بجَمالِهَا ، فجِئْنَ لينْظُرْنَ إلَيْها ، وجاءَتْ عائِشَةُ مُتَنَقِّبَةً ، ولكنَّ الرسولَ عَرَفَها ، فَلَمَّا رآها بَعْدَ ذلكَ سأَلَها : كيْفَ رأَيْتِ ؟ قالَتْ : رأَيْتُ يهوديَّةً . قالِ : لاتَقولِي هذا فقد أَسْلَمَتْ .

ويَرْوِى زَيْدُبنُ أَسْلَمَ أَنَّ رسولَ اللهِ فى مَرضِهِ الذى تُوُفِّيَ فيه قالَتْ لَهُ صفيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ : واللهِ يانَبِيَّ اللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ الذِى بكَ حَلَّ بِى ، فتَغامَزَتْ زوجاتُهُ فأَبْصَرَهُنَّ الرسولُ ، فقالَ لهُنَّ : استَغْفِرْنَ اللهَ . فقُلْنَ : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ؟ قالَ : مِنْ تغامُزِكُنَّ بها ، واللهِ إِنَّهَا لَصادِقَةٌ .

مؤامرة جماعية :

وحَدثَتْ مُؤامَرَةٌ جماعِيَّةٌ ضِدَّ الرسولِ مِنْ زوجاتِهِ ، وهى مؤامرَةٌ تَرْتَبِطُ بحياةِ التَّقَشُّفِ التي كانَ يعيشُها الرسولُ ، فمِنْ الواضحِ أنَّ حياةَ التقشفِ كانَتْ نَمَطَ الحياةِ عند الرسولِ ، تقولُ عائِشةُ « كانَ خُبْزُنَا الشَّعِيرَ أَطْحَنُهُ بالرَّحَى ، وطعامُنَا التَّمْرُ والماءُ ، وأَحْيَاناً كُنَّا نَحصُلُ عَلَى بعضِ اللَّبَنِ ، ويَمُرُّ شَهْرَانِ لاتُوقَدُ فى بيتِنَا نارٌ لطَهْوِ طعامٍ ، ولَمْ يَمْتَلِىءْ جَوْفُ الرسولِ شِبَعاً قَطٌّ ، وكان الفقرُ أَحبَّ إِلَيْهِ مِنَ الغِنَى .... » ولَمْ تكنْ الزوجاتُ تَستَطِعْنَ مااستطاعَهُ الرسولُ من العُزُوفِ عن الدُّنيا ، فاجتمَعَتْ الزوجاتُ حولَ الرسولِ يسألْنَهُ النَّفَقَةَ ، فاعتزَلَهُنَّ الرسولُ شَهْراً أَو حَوالَيْ ذلكَ ، فنَزَلَ قولُهُ تعالَى « ياأَيُّهَا النَّبِىُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحياةَ الدُّنْيَا وزِينَتَهَا فتَعالَيْنَ أُمتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلًا ، وإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ ورسولَهُ والدَّارَ الآخِرَةَ فإِنَّ اللهَ أَعَدَّ للمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عظِيماً » .

(سورة الأحزابِ الآيةُ ٢٩)

فبدأَ الرسولُ يَعْرِضُ علَيْهِنَّ ماعَرَضَهُ اللهُ سبحانهُ وتعالَى ، وابْتَدَأَ بعائِشَةَ قائِلًا لَها : اسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ فى هذا الأَمْرِ ، فقالَتْ عائِشةُ : أَفيكَ أستشيرُ يارسولَ اللهِ . فلَمَّا تَلا علَيْهَا الآيَةَ قالَتْ : أَخْتارُ اللهَ ورسولَهُ والدارَ الآخِرَةَ ؟ وكذلِكَ فَعَلَتْ الزوجاتُ الأُخْرَياتُ.. وهكذا عالَجَ الرسولُ هذهِ الأَزْمَةَ بحِكْمَةٍ وهُدوءٍ ، **فإِمَّا أَنْ تَرْضَى الزوجاتُ بنَسَقِ الحياةِ الذى يعيشُ فيهِ الزوجُ وإِلَّا كانَ تسريحُهُنَّ هو المَخْرَجُ .**

من مشكلات الغيرة :

وهناك حادِثَةٌ أُخرى تآمَرَتْ فِيها عائِشَةُ وحَفْصَةُ عَلَى الرسولِ ، فقد كانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ مِنْ أَحَبِّ نسائِهِ إِلَيْهِ ، يَدْخُلُ عندها نَهَاراً وهو يَمُرُّ علَى زوجاتِهِ فيُطِيلُ عندها الجلُوسَ ، فدبَّرَتْ عائِشةُ وحفْصَةُ مؤامَرَةً ضِدَّهُ ، فَمَا إِنْ خَرجَ ودخلَ علَى عائِشةَ حتى قالتْ لهُ هذهِ : ماذَا أَكَلْتَ أَو شَرِبْتَ عند زَيْنبَ ؟ إِنِّى أَشُمُّ مِنْ فَمِكَ رِيحاً غَيْرَ طَيِّبٍ : قالَ الرسولُ : سقَتْنِى زينبُ جَرْعَةَ عَسَلٍ . قالتْ : لقَد رَعَى نَحْلُهُ المَغافِيرَ (المغافيرُ نباتٌ لَزِجٌ رائِحَتُهُ كَريهَةٌ) ودَخلَ الرسولُ على حَفصة عِقب ذلك فقالتْ له مِثْلَ ماقالَتْ عائشةُ . فصدَّقَ الرسولُ هذا الادِّعاءَ ، وكانَ حريصاً علَى

طِيبِ رائِحَةِ فمِهِ ، فحرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ شُرْبَ العَسَلِ ... وقد كَشَفَ اللهُ سبحانهُ وتعالَى هذهِ المؤامَرَةَ فنزلَتْ الآيةُ الكريمةُ « يأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ماأَحَلَّ اللهُ لَكَ ؟ تَبْتَغِي مَرْضاةَ أَزْواجِكَ واللهُ غفورٌ رحيمٌ » إِلَى قَوْلِهِ تعالَى « إِنْ تَتُوبَا إِلى اللهِ فقَدْ صَغَتْ قلوبُكُمَا ، وإِنْ تَظَاهَرَا علَيْهِ فإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وجِبْرِيلُ وصَالِحُ المؤمِنينَ » (سورةُ التَّحْرِيمِ الآياتُ الأُولى) وتابَ اللهُ عَلَى زوجاتِ الرسولِ وغفَرَ لَهُنَّ .

وكان مِنْ نساءِ الرسولِ مَنْ تُراجِعُ الرسولَ وتناقِشُهُ ، ومِنْهُنَّ مَنْ قالتْ لَهُ : تكلَّمْ ولاتَقُلْ إِلَّا حَقّاً . وكان الرسولُ يبْتَسِمُ ويقولُ : وهل أَقولُ غَيْرَ الحَقِّ ؟

وقد سبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا أَنَّ سَوْدَةَ لَمْ تَكُنْ موافِقَةً للرسولِ ولالِبَنَاتِهِ كما ينْبَغِي ، وأَنَّها قالَتْ لسُهَيْلِ بنِ عَمْرو قَوْلَةً فيها تَحْريضٌ للكفَّارِ عَلَى المسلمينَ ، ولمَّا سَمِعَها الرسولُ قالَ لها : ياسَوْدَةُ ، أَعَلَى اللهِ ورسولِهِ تُحَرِّضِينَ ؟ فاعْتَذَرَتْ سودةُ . وتقولُ عائِشةَ عنْ سَوْدَةَ : مامن الناسِ امرأَةٌ أَحَبُّ إِليَّ أَنْ أَكونَ فى صَلاحِهَا مِنْ سودةَ بنتِ زَمْعَةَ ، إِلَّا أَنَّها امرَأَةٌ فيها حَسَدٌ . وقد رأَى الرسولُ انْصِرافَ قلْبِهِ عنْهَا فعَرَضَ علَيْهَا الطَّلاقَ ، ولكنَّها توسَّلَتْ إِلَيْهِ أَلَّايَفْعَلَ ، فقَبلَ ذلكَ

مِنْهَا ، ووَسِعَتْهَا رحْمَتُهُ ، وفى رِوايةٍ أُخْرَى أنَّهُ طلَّقَها فِعْلًا ، ولعَلَّ مَوْقِفَ سودةَ ومَثِيلاتِهَا هو الذى أَوْحَى للرسولِ أَنْ يقولَ : **إنَّ المرأةَ كالضِّلَعِ إنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُها كَسَرْتَهَا وإنْ تَرَكْتَها اسْتَمْتَعْتَ بها على عِوَجٍ . ويعلِّقُ الإمامُ الشَّوْكانيُّ عَلَى هذا الحدِيثِ بقَوْلِهِ : إنَّ فِيهِ الحثَّ عَلَى الصبْرِ عَلَى مالَا يَسْتَقِيمُ مِنْ أَخْلاقِ النساءِ .**

وكانَ الرسولُ كثيرَ الاعْتِرافِ بالفَضْلِ لزوجَتِهِ خديجَةَ حتى بَعْدَ وَفَاتِهَا ، فقد كانَ يُكْثِرُ الحديثَ عنْهَا بخَيْرٍ ويدعُو لها ، وكان يذْبَحُ الشَّاةَ ويقسِمُهَا أجْزاءً ويبْعَثُ بأَجْزائِها إلى صاحِباتِ خديجَةَ ، وكانَتْ عائِشةُ تقولُ : ماراَيْتُ خديجَةَ قطُّ ولكنِّى كُنْتُ أَغارُ مِنهْا أَكْثرَ مِمَّا أغارُ مِنْ غيرِها لكَثْرَةِ ما كانَ الرسولُ يمْدَحُهَا ويثْنِى علَيْهَا ، وفى مَرَّةٍ أعلَنَ الرسولُ لعائِشةَ أنَّ خديجَةَ لاتَعْدِلُها زوجةٌ أُخْرَىُ فَغضِبَتْ عائشةُ وقالَتْ له : هل كانَتْ إلَّا عَجوزاً بدَّلَكَ اللهُ خيراً مِنْها ، فقالَ لهَا بغَضَبٍ : لا واللهِ ما بدَّلَنِي اللهُ خيراً مِنْها ، آمَنَتْ بِى إذْ كَفَرَ الناسُ ، وصدَّقَتْنِى إذْ كذَّبَنِي الناسُ ، وواسَتْنِي بَمالِها إذْ حَرَمَنِي الناسُ ، ورَزَقَنِي اللهُ مِنْها الولَد دَونَ غيرِها مِنْ الزوجاتِ وقد ذكَرْنَا ذلكَ مِنْ قَبْلُ .

الحجـــــاب

الحجاب على زوجات الرسول :

بَقِيَتْ كَلِمَةٌ عن الحِجَابِ بالنِّسْبَةِ لأُمَّهاتِ المؤمنِينَ وبالنسبةِ للنساءِ المسْلِمَاتِ بوَجْهٍ عامٍّ ، والذى علَيْهِ الجمهورُ أَنَّ أُمهاتِ المؤمنينَ لَهُنَّ حُكْمٌ خاصٌّ بِهِنَّ توضِّحُهُ آياتُ سُورَةِ الأَحْزَابِ ، **والحجابُ علَيْهِنَّ مَعْناهُ لُزومُ البَيْتِ ، وقد فُرِضَ عليْهِنَّ بَعْدَ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ ، كما أَنَّ نساءَ الرسولِ لايجوزُ أَنْ يتزوَّجْنَ بَعْدَهُ ، وعنْ هذهِ الأَحكامِ الخاصَّةِ بزوجاتِ الرسولِ** يقولُ تعالَى :

– يانِساءَ النَّبِىِّ لَسْتُنَّ كأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاتَخْضَعْنَ بالقَوْلِ فيَطْمَعَ الذى فى قَلْبِهِ مَرَضٌ وقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ، وقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ، ولاتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولَى ، وأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وآتِينَ الزَّكَاةَ وأَطِعْنَ اللهَ ورَسُولَهُ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (سورةُ الأَحْزابِ الآيتان ٣٢ – ٣٣) .

– ياأَيُّها الذِينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِىِّ إِلَّاأَنْ يُؤْذَنَ لكُمْ إلى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ، ولكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فادْخُلُوا ،

فإذَا طَعِمْتُمْ فانْتَشِرُوا ولَا مُسْتَأْنِسِينَ لَحِدِيثٍ ، إنّ ذَلِكُمْ كانَ يُؤْذِى النَّبِىَّ فيَسْتَحْيِ مِنْكُم واللهُ لا يَسْتَحْيِ مِنَ الَحقِّ ، وإذَا سألْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فأَسْألُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وقُلُوبِهِنَّ . (سورة الأحزاب الآية ٥٣) .

– ومَا كَانَ لَكُم أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ ولَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً . (نَفْسُ السُّورَةِ والآيَةِ) .

الحجاب بالنسبة للمسلمات غير آل البيت :

هذا عنْ زوجاتِ الرسولِ ، أمّا النساءُ المسْلِماتُ بوَجْهٍ عامٍّ فالجمْهورُ عَلَى أنَّ الحجابَ علَيْهِنَّ معْناه تَغْطِيَةُ الجِسْمِ ما عَدَا الوجْهَ والكَفَّيْنِ ، وقد تحدَّدَ ذلك بما وَرَدَ فى سورةِ الأحْزَابِ وسورةِ النُّورِ ، قالَ تعالَى :

– ياأيُّها النبىُّ قُلْ لأزواجِكَ وبَنَاتِكَ ونِسَاءِ المؤْمِنينَ يُدْنِينَ علَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ . (سورة الأحزابِ الآية ٥٩) .

– وقُلْ للمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ، ويَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ، ولا يُبْدِينَ زينَتَهُنَّ إلا ما ظَهَرَ مِنْهَا ، ولْيَضْرِبْنَ بخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ . (سورةُ النور الآية ٣١)

ويَرَى بعضُ المفكِّرينَ المسلمينَ أنَّ قولَهُ تعالَى : « قُلْ

للمؤمنين يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ » يُفِيدُ أَنَّ وَجْهَ المرأةِ مكشوفٌ ، ولهذا أمَرَ اللهُ الرجالَ بغضِّ البصرِ وَعَدمِ إطالَةِ النَّظَرِ فى وُجوهِ النساءِ ، ولَو كانَتْ الوجوهُ مغطَّاةً تماماً كما يقولُ بعضُ الناسِ ، لما نَهَتْ الآيةُ الكريمَةُ عن غَضِّ البَصَرِ ، ولهذا جاءَ فى الآيةِ التاليَةِ قولُه تعالى : « وقُلْ للمؤمِنَاتِ يغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ » تعْلِيماً للمرأَةِ أَلَّا تُطِيلَ النظَرَ فى وُجوهِ الرجالِ .

ومثلُ هذا يُؤْخَذُ مِنْ الحديثِ الشريفِ الذى يُبِيحُ للرجلِ النظْرَةَ الأُولى لِوجْهِ المرْأَةِ دوُن إطالَةِ النظرِ .

هذا وللمرأةِ المسلمةِ أَنْ تغطىَ جِسمَهَا كلَّهُ بِما فى ذلك الوجه ، وذلك تفضُّلٌ مِمَّنْ تفعلُ ذلك ، ولكنَّهُ ليسَ واجِباً ، فإذَا خِيفَتْ الفِتْنَةُ فى حالَةٍ بعَيْنِهَا كان الغطاءُ أَمْثَلَ ، ولكنْ ينْبَغِي لَمِنْ تُغطِّي وجهَهَا أَلَّا تَظُنَّ السُّوءَ بِمَنْ لا تَفْعلُ ذلكَ .

أولاد الرسول وأحفاده :

ذلكَ حديثٌ عنْ الرسولِ بيْنَ زوجَاتِهِ ، فلْنَنْتَقِلْ إلى الحديثِ عنْ الرَسولِ وأولادِه ، وأولادُ الرسول – ماعَدَا إبراهيمَ – مِنْ السيدةِ خديجَةَ ، وهُمْ ابْنَانِ : القاسِمُ

والطّاهِرُ ، وقد وُلِدَ القاسِمُ قبْلَ الإسْلامِ ، وبهِ كانَ الرسولُ يُكَنَّى ، وماتَ وعمْرُهُ حوالَىْ السنتَيْنِ . أمَّا الطاهِرُ فقد وَلِدَ بعْدَ الإسلامِ والملكَ سُمِّيَ الطاهِر وقد ماتَ رَضِيعاً ، وكانَ الرسولُ لايَزالُ في مَكَّةَ ، فقالَ العاصِ بنُ وائِلٍ فى شَماتَةٍ بالرسولِ : إنَّ محمداً أبْتَرُ . أىْ لا يَعيشُ لهُ أبْنَاءٌ ، فنزلَتْ الآيةُ الكريمةُ : « إنَّ شانِئَكَ هو الأبْتَرُ » وَوَلَدَتْ السيدةُ خديجةُ للرسولِ أرْبعَ بناتٍ هُنَّ زَيْنَبُ ورُقَيَّةُ وأُمُّ كُلْثُومٍ وفاطِمَةُ .

وكُبْرَى بناتِهِ كانَتْ زينب ، وقد تزوَّجَتْ قَبْلَ الإسْلامِ مِنْ أبِى العاصِ بنِ الرَّبِيعِ وهُوَ ابنُ خالَتِهَا هالة بنتِ خُوَيْلِدٍ ، فلمَّا جاءَتْ الرِّسالةُ آمنَتْ بِهِ زوجَتُهُ خديجةُ وبناتُهُ ، وبَقِــىَ أبو العاصِ عَلَى الوَثَنِيَّةِ . وأرادَتْ زينبُ أنْ تَلْحَقَ بأبيهَا فمَنَعَهَا أبو العاصِ ، وكان أبو العاصِ مِنْ مَعْدودِى رجالِ مكةَ مالًا وأمانةً وتجارَةً ، فمَشَى إليْهِ وجوهُ قريشٍ وقالوا لَهُ : ارْدُدْ عَلَى محمدٍ ابنتَه ، ونحْنُ نزوِّجُكَ أيَّةَ امرأةٍ أحبَبْتَ من قريشٍ ، فقالَ : لا واللهِ ، لا أُفارِقُ صاحِبَتِي فإنَّها خَيْرُ صاحبةٍ ، وهاجَرَ الرسولُ بدونِهَا إلى المدينةِ ، فلمَّا جاءَتْ غزوةُ بدْرٍ كانَ أبو العاصِ مَعَ المشركينَ ، ووقَعَ فى يدِ المسلمينَ أسيراً ، وبدأَتْ قريشٌ تَفْدِى أسْراهَا ، وكان فِداءُ أبِى العاصِ قِلَادَةً

عَرَفَها الرسولُ ، إنَّها قِلادةُ خديجَةَ رَضِىَ اللّهُ عنْهَا وَهَبَتْها لابْنَتِهَا زينبَ حينَ زواجِها ، فلمَّا رأى الرسولُ القِلادةَ رقَّ لها ، وقالَ للمسلمينَ : إنْ رأَيْتُمْ أَنْ تَرُدُّوا قِلادَةَ زينبَ وتُطْلِقوا أَسيرَها فافْعَلُوا . فقالُوا : نَعَمْ يارسولَ اللهِ فأَطْلَقَهُ الرسولُ بَعْدَ أَنْ اشترَطَ علَيْهِ أَنْ يَبْعَثَ بزينبَ إِلَيْهِ وتَوَثَّقَ مِنْهُ ، ووجَّه الرسولُ زَيْدَ بنَ حارِثَةَ ليتسلَّمَهَا ، ولَحِقَتْ زينبُ بأَبِيها فى المدينةِ وَبقِىَ زوجُهَا عَلَى الشِّرْكِ .

وفى سَنَةِ ستٍّ مِنْ الهِجْرَةِ خرَجَ أَبو العَاصِ فى تِجارةٍ إلى الشامِ ، وفي طريقِ عَوْدتِهِ بَعَثَ الرسولُ زيدَ بنَ حارِثَةَ فى جيشٍ مِن المسلمينَ فاعْتَرَضوا عِيرَهُ واستاقوهَا وأَسرُوهُ ، فبعثَ أَبو العاصِ إلى زينبَ يستجِيرُ بِهَا فأَجارَتْهُ وقَبِلَ الرسولُ ، وقالَ للمسلمينَ : إِنَّكُمْ قد عَرَفتُم مكانَ هذا الرجلِ مِنَّا ، فإنْ تَرُدُّوا علَيْهِ مالَهُ فإنَّا نُحِبُّ ذلكَ ، وإلَّا فمالُه فَيْءٌ لكُمْ . فردُّوا عليه مالَهُ . فعادَ إلى مكةَ وردَّ الحُقوقَ لأَصْحابِها ثم وَفدَ إلى المدينةِ مُسْلِماً ، فأَعادَ لهُ الرسولُ زينبَ بنِكاحٍ جديدٍ ومَهْرٍ جديدٍ .

أَمَّا رَقَيَّةُ فكانَتْ قد عُقِد قِرانُها عَلَى عُتْبَةَ ابنِ أَبى لَهَبٍ ، فلمَّا نزلَتْ السورةُ الكريمةُ : « تَبَّتْ يَدَا أَبى لَهَبٍ » قالتْ أُمُّ

عُتْبَةَ واسْمُهَا أُمُّ جَميلٍ بنتُ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ : قد هَجَانَا محمدٌ ، وعزَمَتْ على ابنِهَا عتبةَ أَنْ يُطَلِّقَ رُقَيَّةَ ، وكذلكَ فَعل أَبوهُ ، فطلَّقَها عتبةُ قبْلَ أَنْ يدخلَ بِها ، فزوَّجَهَا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ مِنْ عُثْمَانَ بنِ عفَّانَ وهاجَرَتْ معَهُ إلى الحبَشَةِ ، ووَلَدَتْ له عَبْدَ اللهِ ومَرِضَتْ قُبَيْلَ بدْرٍ ، فخلَّفَ الرسولُ معَها عثمانَ ، وتُوُفِّيَتْ والمسلمون فى بدْرٍ ، ودُفِنَتْ بالبَقِيعِ ، وماتَ ابنُها بعْدَها بقَلِيلٍ .

وأَمَّا أُمُّ كُلْثُومٍ فكانَتْ زوجةً لمعْتِبِ بنِ أَبى لَهَبٍ . وطلَّقَها زوجُها مِثْلَمَا فَعَلَ أَخوهُ عُتْبَةُ ، فَلمَّا ماتَتْ رقيةُ زوَّجَهَا الرسولُ مِنْ عثمانَ ، وظلَّتْ معهُ حتى ماتَتْ سنة ٩ هـ وبَكَى عَلَيْهَا عثمانُ وأَطالَ البُكَاءَ ، فسأَلَهُ الرسولُ : مايُبْكِيكَ ؟ فقالَ : انْقِطاعُ صَهْرِى مِنْكَ يارسولَ اللهِ . فقالَ الرسولُ : انقطاعُ الصَّهْرِ لايكونُ بالموتِ ، وإنَّما يكونُ بالطَّلاقِ ، ولو كانَ عِنْدَنَا ثالِثةٌ لزوَّجْنَاكَ .

وأَمَّا فاطِمَةُ فقد زوَّجَها الرسولُ مِنْ عَلِيٍّ بنِ أَبى طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُ سنةَ اثنتَيْنِ للهجْرَةِ فولَدَتْ الحَسَنَ والحُسَيْنَ ومُحْسِناً وزَيْنَبَ وأُمَّ كُلْثُومٍ ، وقد ماتَ مُحْسِنٌ صغيراً

وتزوَّجَتْ زينبُ بنت عليٍّ عبدَ اللهِ بنَ جَعْفَرٍ ولَمْ تُنْجِبْ مِنْهُ ، وتزوجتِ أمُّ كلثومٍ عمرَ بنَ الخطاب فولَدَتْ له زَيْدَ بنَ عمرَ ، وقُتِلَ عمرُ وهى زوجَتُهُ ، وتُوُفِّيَتْ أُمُّ كلثومٍ وابنُها زيدٌ فى يومٍ واحدٍ .

أما الحسنُ والحُسَيْنُ ابنَا عَلِيٍّ وفاطِمَةَ ، فقد انجَبَا نَسْلًا كثيراً ، ومِنْهُمَا وُجِدَ النَّسْلُ الذى ينْحَدِرُ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّم حتى الآنَ .

وفاطِمَةُ تستحِقُّ مزيداً مِنْ الحديثِ عنْهَا لمكانَتِهَا مِن الرسولِ مِنْ جانِبٍ ولأَنَّ مِنْهَا عاشَ حتى الآنَ نسْلُ الرسولِ مِنْ جانبٍ آخرَ ، ويَرْوِى الذَّهَبِيُّ أَنَّ الرسولَ قالَ عَنْهَا : إِنَّها سيِّدَةُ العالَمينَ فى زَمانِها،وكان يُكَنِّيهَا « أُمَّ أَبيهَا » لِمَا كانَ فيها مِنَ الحنَانِ علَى الرسولِ صلواتُ اللهِ عليهِ ، الذى قلَّمَا يُوجَدُ فى غيْرِ الأُمِّ ، وقد وُلِدَتْ قبْلَ البَعْثَةِ بقليلٍ ؛ وتزوجَها الإمامُ عَلِيٌّ سنةَ اثنتَيْنِ للهجرةِ عَقِبَ غزوةِ بدْرٍ ، ودخَلَ بِها عَقِبَ غزَوَةِ أُحُدٍ ، وذلك بعْدَ أَنْ دخلَ الرسولُ بعائِشةَ بأَرْبَعَةِ أَشْهرٍ ، وكانت سِنُّ فاطمةَ خمسةَ عشَرَ عاماً ، وقد رَوتْ كثيراً مِنْ الأَحاديثِ عنْ أَبيها ورَوَى عنهَا ابنُها الحَسَنُ والسيدةُ عائشةُ ، وأُمُّ سَلَمَةَ ، وأَنَسُ بنُ مالِكٍ ، وكانَ صلَّى

اللهُ عليْهِ وسلَّمَ يُحِبُّهَا ويكْرِمُهَا ويُسِرُّ إِلَيْهَا ، وكانَتْ صابِرَةً دِيِّنةً خيِّرَةً خاضِعةً شاكرةً للهِ ، وكانَتْ مِشْيَةُ فاطمةَ شديدةَ الشَّبَهِ بِمِشْيَةِ الرسولِ صلواتُ اللهِ عليْهِ ، وكانَتْ تَطْمَعُ في أَنْ تَرِثَ أَباهَا فى أَرْضِ فَدَكٍ ، ولكنَّ أَبابكْرٍ ذَكَرَ لهَا أَنَّهُ سمِعَ الرسولَ يقولُ « نحنُ معاشِرَ الأَنبياءِ لانُورَثُ ماتَرَكْنَاهُ صَدَقَة » فوَجَدَتْ عليْهِ ، (أَىْ غَضِبَتْ) كأَنَّها لَمْ تكنْ قد سَمِعَتْ هذا الحديثَ مِن الرسولِ ، **ولكنَّها لمَّا مَرِضَتْ أَتَى أَبو بكْرٍ إلى بَيْتِهَا واستأْذَنَ ، فدَخَلَ عَلىٌّ عليْهَا وقالَ لهَا : يا فاطمةُ هذا أَبو بكْرٍ يستأْذِنُ علَيْكِ ، فسأَلَتْ عَلِيّاً قائِلةً : أَتُحِبُّ ياعَلِيُّ أَنْ آذَنَ لَهُ ؟ قالَ علىٌّ : نَعَمْ . فأَذِنَتْ لَهُ فدَخَلَ عليْهَا أَبو بكْرٍ يتَرَضَّاهَا ، وقالَ لَها : واللهِ ماتَرَكْتُ الدَّارَ والمالَ والأَهْلَ والعَشِيرَةَ إلَّا ابْتِغاءَ مَرْضَاةِ اللهِ ورسولِهِ ومرضاتِكُمْ أَهْلَ البَيْتِ ، ومازَالَ بِها حتى رضِيَتْ .**

وتُوُفِّيَتْ بَعْدَ النبىِّ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ بخَمْسةِ أَشهرٍ أَو نحْوهَا ، وكانَ عمْرُهَا خَمْساً وعشرِينَ سنَةً ، وكانتْ وفاتُهَا يومَ الثلاثاءِ الثالِثِ مِنْ رمضانَ سنةَ إِحْدَى عشرَةَ للهجرةِ .

وكان عَلِىٌّ رضِىَ اللهُ عنْهُ قد قسَّمَ العمَلَ فى البيتِ بيْنَ أُمِّهِ وبيْنَ زوجَتِهِ ، فطلَبَ مِنْ أُمِّهِ أَنْ تَكْفِىَ فاطمةَ الخِدْمةَ خارِجَ

البيتِ ، أىْ تُحضِرَ مايَلزَمُ للبيتِ مِنْ الخارِجَ ، وتَكْفِيَها فاطمةُ العملَ فى البيتِ ، فتقومُ بالطَّحْنِ والعجْنِ والخَبْزِ ...

ورُزِقَ الرسولُ ابناً مِنْ مارِيَةَ أَسْمَاهُ إبراهيمُ ، ولكنَّه ماتَ وعُمْرُه حوالَىْ العامِ .

تعاليم الرسول بالنسبة للأولاد :

هؤلاءِ هَمْ أَولادُ الرسولِ وأَحفادُهِ ، فماذا كانَتْ تعاليمُ الرسولِ بالنسبةِ للأَولادِ بوَجْهٍ عامٌ ؟ وماذا فَعَلَ بأَولادِهِ ؟ حتى يُمْكِن لنَا أَنْ نَقْتَدِىَ بِهِ فى هذا المِضْمَارِ ؟ .

أَوَّلُ ماتَذْكُرُهُ أَنَّ الرسولَ كان يُحِبُّ أَولادَهُ وَيُلاطِفُهُم ، ويَرْوِى البخارىُّ ومُسْلِمٌ أَنَّ الرسولَ قَبَّلَ الحسنَ بنَ علىٍّ وعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بنُ حابِسٍ التَّمِيمى ، فقالَ الأَقرعُ إنَّ لى عَشْرَةً مِنْ الْوَلِدِ ماقَبَّلْتُ مِنهُمْ أَحَداً قَطّ . فقالَ لهُ الرسولُ : مَنْ لايَرْحمُ لايُرْحَمُ ، (مُتَّفَقٌ عليْهِ) .

ثُمَّ إنَّ الرسولَ أَلْزَمَ الأَبَ أَنْ يسوِّىَ بيْنَ أَولادِهِ فى العَطاءِ والمعامَلَةِ ، ويُرْوَى أَنَّ زوجَةَ بَشِيرِ بنِ سَعْدٍ الأَنصارِىِّ طلبَتْ إليْهِ أَنْ يَخُصَّ ولدَها النُّعمانَ بمِنْحَةٍ فاستجابَ لها ، وأَرادَتْ الزوجةُ تَوْثيقَ هذِهِ الهِبَةِ فطلبَتْ مِنْ زوجِهَا أَنْ

يُشْهِدَ عليْهَا الرسولَ ، فاستجابَ بشيرٌ لِرغبتِها ، وذهبَ للرسولِ ، فسأَلَهُ الرسولُ : هل للنعمانِ إخوةٌ ؟ فأجابَ نَعَمْ ، فسألَهُ الرسولُ : فكلَّهُمْ أَعطَيْتَ مِثْلَ ما أَعطيتَه ؟ قالَ بشيرٌ : لا فقالَ الرسولُ : ليسَ يَصْلُحُ هذا ، إنَّ لِبَنِيكَ عليكَ مِنْ الحقِّ أَنْ تَعْدِلَ بينَهُم ، كما أَنَّ لكَ عليهِمْ مِنْ الحقِّ أَنْ يَبَرُّوكَ ، اتَّقُوا اللهَ واعدِلُوا بيْنَ أَبنائِكُم .

وكانَ الرسولُ يَحِبُّ فاطِمَةَ حبّاً جمّاً ، وكانَتْ إذا دخلَتْ عليْهِ قامَ إليْهَا وقبَّلَهَا وأَجْلسَها بجوارِهِ ، وكانَ يُحِبُّ ولدَيْهَا الحسنَ والحسَيْنَ ، ويحمِلُهُما على ظَهْرِهِ ويداعِبُهُما ، وحدَثَ مرَّةً أَنْ كانَ الرسولُ يصلِّي فأَطالَ الصلاةَ فلمَّا انْتَهى مِنْ الصلاةِ سألَه أَحدُ الصَّحَابةِ عن سببِ الإطَالَةِ فقالَ : إنَّ ابني ارْتَحَلَني فكرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ .

وكانَ يحبُّ زينبَ ابنتَهُ حباً شديداً ، وكانَ يحبُّ زوجَها أَبا العاصِ لحِفاظِهِ علَى زينبَ واحترامِهِ لهَا مع اختلافِ الدِّينِ ، وقد رأَيْنَا الرسولَ يقولُ عنهُ للمسلمِينَ : إنَّكُمُ قد عرَفْتُم مكانَ هذا الرجلِ مِنَّا ...

ولمَّا ماتَتْ زينبُ تركَتْ بنتاً اسمُها « أُمَامَةُ » وأَحبَّهَا الرسولُ ككُلِّ أَحفادِهِ ، وفى ليْلةٍ أُهْدِىَ إليْهِ قِلادةٌ ثمينةٌ مِنْ

خَرَزٍ ثمينٍ يُوجَدُ بظُفَارَ بجنوبِ الجزيرةِ ، فقالَ عليْهِ السلامُ : لأُهْدِيَنَّ هذه القِلادَةَ إلى أَحبِّ أَهلِى إلىَّ فقالتْ بعضُ الزوجاتِ : قد فازَتْ بها ابنةُ أَبى بكْرٍ ، فلمَّا أَصبحَ دعَا بأُمامَةَ وألْبسَهَا القلِادَةَ .

ولمَّا رُزِقَ الرسولُ بابْنِه إبراهيمَ فى أَواخِرِ أَيَّامِهِ فَرِحَ بهِ كلَّ الفرَحِ ، وتصدَّقَ بوَزْنِ شَعْرِ رأْسِهِ فِضَةً ، وكانَ الرسولُ يمشِي لماريَةَ كلَّ يومٍ يداعِبُ ابنَه ويناغِيه ، فلمَّا ماتَ إبراهيمُ بَكَى الرسولُ عليْهِ وقالَ : تدْمَعُ العيْنُ ويَحزنُ القلْبُ ولا نقولُ إلا ما يُرْضِي الربَّ ، وصادَفَ أَنْ كُسِفَتْ الشمسُ يومَ موتِ إبراهيمَ ، فقالَ بعضُ الناسِ إنَّها كُسِفَتْ حُزْناً عَلَى ابراهيمَ فقالَ الرسولُ : إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ اللهِ لا تُكْسَفانِ لموْتِ أَحدٍ ولا لحَياتِهِ .

ما أجدَرَ المسلمِينَ أَنْ ينتفِعوا بهذا النَّمَوذجِ الذى شرَحَه الرسولُ ، وتعامَلَ بهِ معَ أَولادِهِ وأَحفادِهِ .

الرسول مع خدمه :

يمثِّلُ الخَدَمُ فى البيوتِ عُنْصُراً شديدَ النَّفْعِ إلى أَصحابِهَا ،

وقد أَرْشَدَ الرسولُ السَّادةَ والخدمَ علَى المعامَلِة المثْلَى مِنْ الطَّرَفَيْنِ ، فعن حُقوقِ الخَدَمِ يَرْوِى المَعْرُورُ بنُ سُوَيْدٍ قالَ : رأَيْتُ أَبا ذَرٍّ رَضِىَ اللهُ عنـهُ يلبَسُ حُلَّـةً ، وعلى غُلَامِـهِ مثلُهـا ، فسأَلْتُ أَبا ذرٍّ عنْ ذلك ، فذكَرَ أَنَّهُ سابَّ خادِماً علَى عَهْدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ ، فقالَ له النبىُّ : إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جاهلِيَّةٌ ، هم إِخْوانُكُم ، وخَوَلُكُم ، جعلَهُم اللهُ تحْتَ أَيدِيكُم ، فمَنْ كانَ أَخوهُ تحتَ يدِهِ فلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يأْكُلُ ، ولْيُلْبِسْهُ مما يلبَسُ ، ولا تُكَلِّفوهُم ما يَغْلِبُهُم . ومن الواضِحِ أَنَّهُ ليسَ مِنْ الضروىِّ أَنْ يَلْبَس الخادِمُ مِنْ نَوْعِ لِباسِ سيِّدِهِ ، وإِنَّما كانَ ذلك عقوبةً لأَبي ذَرٍّ على مَوْقِفِهِ مِنْ خادِمِهِ .

وعن واجباتِ الخَدَمِ تجاهَ المخْدومِ يقولُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ .. : والخادِمُ راعٍ فى بَيْتِ سيِّدِهِ وهو مسئولٌ عن رعيَّتِهِ .

فإِذا جِئْنَا إِلى النَّموذَجِ الواضحِ فى بيتِ الرسولِ ، رأَيْنَا مُثُلا عُلْيَا فى هذا الشأْنِ : كانَتْ بَرَكَةُ أَثَابهَا اللهُ حاضِنَةَ الرسولِ صلواتُ اللهِ عليْهِ بَعْدَ وفَاةِ أُمِّهِ ، ولذلكَ كانَ الرسولَ يَدْعوهَا أُمَّهُ ، ولما شبَّ الرسولُ وتزوَّجَ من خديجةُ تقدَّمَ لخِطبتِها عبدُ اللهِ بنُ زَيْدٍ الخزْرَجىُّ وكانَتْ بَرَكَةُ تمِيلُ إِلى البَقـاءِ فى

خدمةِ الرسولِ وزوجتِهِ الطاهِرَةِ ، ولكنَّ الرسول وزوجتهُ شجَعا بركةَ علَى قَبولِ الزواجِ ، وأحسَّتْ بركةُ بأنَّها أدَّتْ واجِبَها فى خدمةِ محمدٍ حتى تزوَّجَ وبدَتْ حياتُهُ طيِّبَةً مع زوجَتِهِ العظيمَةِ فوافقَتْ علَى الزواجِ ، ورحلَتْ معَ زوجِها إلى يثرِبَ وأنْجَبَتْ ابنَها « أيْمَنَ » مِنهُ فصارَتْ تُدْعَى أمَّ أيمنَ ، ثم ماتَ زوجُها فعادَتْ بابنِها إلى بيتِ الرسولِ .

وتقدَّمَتْ السنُّ بأمِّ أيمنَ ، وزادَ صلاحُها فى ظِلِّ الإسلامِ ، ويُرْوَى أنَّها جاءَتْ للرسولِ مرَّةً وهو بيْنَ أصحابِهِ فأسرَّتْ له بشىءٍ ثم عادَتْ . فقالَ الرسولُ : من أرادَ أنْ يتزوجَ امرأةً مِنْ أهلِ الجنَّةِ فليتزوجْ أمَّ أيمنَ . ولمَّا سَمِعَ زيدُ بنُ حارِثَةَ ذلك تقدَّمَ للرسولِ يَخطُبُها ، وتمَّ زواجُهُ مِنْها بَعْدَ وَلِيمَةٍ سخِيَّةٍ أقامتْهَا السيدةُ خديجةُ لأوْفَى خادمَةٍ ، وأنجبَ هذا الزواجُ « أسامةَ بنَ زيدٍ » .

ويُرْوَى أنَّ أمَّ أيمنَ قالتْ للرسولِ يومَ حُنَيْنٍ : سبَّتَ اللهُ أقدامَكُمْ . (تقصدُ ثبَّتَ بالثَّاءِ) فقالَ لها الرسولُ : اسْكُتي فإنَّكِ عَسْرَاءُ اللِّسانِ .

ونقِفُ هنا وقْفَةً لنتحدثَ عن زيد بن حارِثَةَ الكلْبِيِّ ، وهو مِنْ قبيلةِ « كَلْبٍ » إحدَى قبائلِ العربِ الشهيرةِ ، وقد وُلِدَ فى الجاهليةِ ، وسُبِيَ وهو طفلٌ فِي إحدى غاراتِ

القبائلِ ، وبيعَ رَقيقاً فى أسواقِ مكةَ ، وكانَ الذى اشتراهُ حَكيمُ بنُ حِزَامٍ لخديجةَ بنتِ خُويْلِدٍ ، ولما تزوجَ محمدٌ منْ خديجةَ وهبَتْهُ زَيْداً فأحبَّه وأعتقَهُ وتبنَّاهُ (أىْ جَعَلَه كأنَّهُ ابنٌ له) ، وكانَ يُدعَى زيدَ بنَ محمدٍ حتى نزلَتْ الآيةُ الكريمةُ « ادْعوهُم لآبائِهم هو أقْسَطُ عِنْدَ الله » فأصبحَ يُدعَى زيدَ بنَ حارِثةَ .

وقد اهْتَدَى أبوهُ إليْهِ ، وأظهرَ الرسولُ استعدادَهُ لردِّهِ لأبيهِ وذَوِيهِ ، ولكنَّ زيداً اختارَ أنْ يبقَى معَ محمدٍ ، وسقطَ زيدٌ شهيداً فى موقعةِ مُؤْتَةَ فعيَّنَ الرسولُ ابنَهُ أُسامةَ قائداً للجيشِ الذى أعدَّهُ قَبْلَ وفاتِه لغزوِ الرومِ ليثأرَ لوالدِهِ ، وكانَ كبارُ الصَّحابةِ جُنوداً فى هذا الجيشِ تحتَ إمْرَةِ الشابِّ أُسامةَ .

ومِنْ الذين خَدَموا الرسولَ مولاهُ ثَوْبانَ ، وقد أَخْلَصَ هذا للرسولِ أيَّما إخلاصٍ حتى أنَّ الرسولَ لاحظَ أنَّ ثوبانَ يَذْوِى ويَذْبُلُ فسألَه : ما بكَ ياثوبانُ ؟ فأجابَ ثوبانُ : إنَّنى أذْكُرُ الآخِرَةَ التى ستجعلُنى فى مَرْتَبَةٍ بعيدَةٍ عنْك فأُحِسُّ بالأسى والحزْنِ لفِراقِكَ . ويقالُ إنَّ اللهَ طمأنَه على مستقبلِهِ فى الجنةِ بالآيةِ الكريمةِ « ومَنْ يُطِعْ اللهَ والرسولَ فأُولئكَ معَ الذينَ أنْعَمَ

اللهُ عليهِمْ مِنَ النبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ وحَسُنَ أولئِكَ رَفيقاً » . (سورة النساء الآية ٦٨) .

ومِنْ خَدَمِهِ عليْهِ السلامُ أَنَسُ بنُ مالِكٍ ، وهو يقصُّ قِصتَهُ مع الرسولِ بقَولِهِ : قَدِمَ الرسولُ إلى المدينةِ وليس معهُ خادِمٌ ، وكانَتْ أُمِّى (أُمُّ سَليمٍ) متزوجةً مِنْ (أَبِى طلحة الأَنْصارِيِّ) بَعْدَ أَبِى ، فأَسْلَمَتْني أُمِّى لخدمةِ رسولِ اللهِ وقالَ أبو طلحةَ للرسولِ وهو يقدمُنِى : يارسولَ اللهِ إن أَنَساً غُلامٌ ذكيٌّ فلْيخدَمُكَ . وتولَّيْتُ خِدمةَ الرسولِ طِيلَةَ عَهْدِهِ بالمدينةِ ولقد لازَمْتُه فى السَّفَرِ والحضَرِ ، وما قالَ لى مرَّةً (أُفٍّ) ومَا قالَ لشيءٍ صنَعْتُهُ : لِمَ صَنَعْتَهُ ، ولا لشيءٍ تَرَكْتُهُ : لِمَ تركتَهُ .

ويَرْوِى أَنَسٌ أَنَّ الرسولَ أَرسلَهُ فى حاجَةٍ فانحَرَفَ إلى صبْيانٍ يلْعبونَ فى السُّوقِ ، ورآهُ الرسولُ وهو علَى هذه الحالِ فقالَ لهُ : يا أُنَيْسُ ، اذهبْ حيث أَمَرتُكَ .

وأرسلَ الرسولُ إحدى خَدَمِهِ مرَّةً لقضاءِ حاجَةٍ له فتباطَأَتْ فى قضائِهَا ، فقالَ لَها عندما عادَتْ : لَوْلَا خوفُ القِصاصِ لأَوْجَعْتُكِ بهذا السِّوَاكِ !! .

تلك صورةٌ سريعةٌ لحياةِ الرسولِ فى بيتهِ ، بيْنَ زوجاتِه وأولادِهِ وخَدَمِهِ ، وهى لاشكَّ صورةٌ مُشْرِقَةٌ ينبغى على المسلمينَ أنْ يتدارَسوها وأنْ يَتأَسَّوْا بها ، ففِى ذلكَ صلاحٌ لبُيوتِهم ولمجتمعِهِم .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠١/١١٤٥٣

I.S.B.N 977 - 01 - 7309 - 6



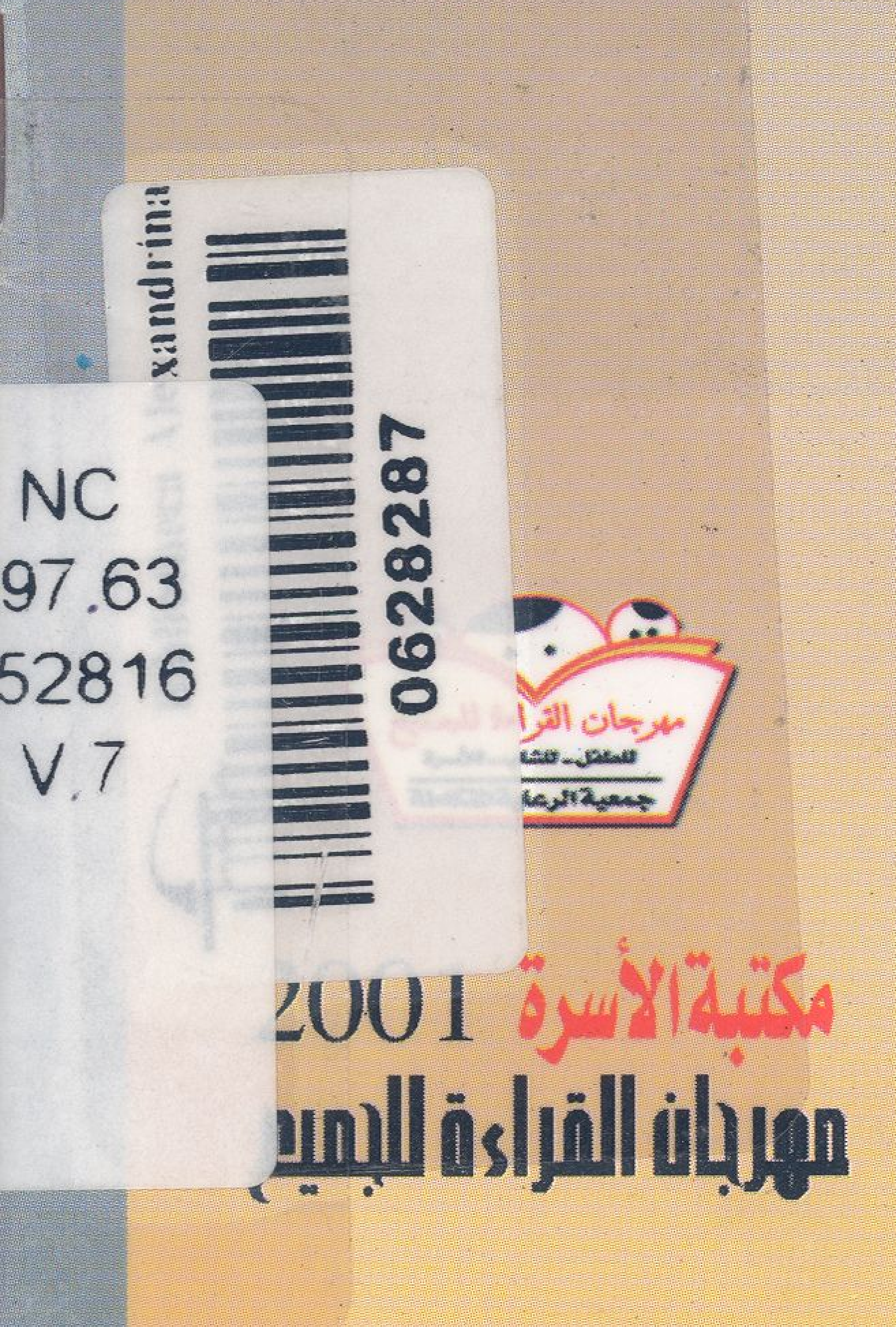
◆ ◆ ◆ ◆

بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك



سعر رمزى خمسون قرشا   مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب